المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه المبين : ﴿ وَمَنْ أَحسنُ قَوْلاً ممن دعا إلى الله ، وعَمِل صالحاً ، وقال إنني من المسلمين ﴾ [1] .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الدعاة ، وخاتم النبيين ، الذي أرسله الله داعياً إلى الله بإذنه ، فقال في حقه : ﴿ يا أيها النبيُّ إنا أرسلناك شاهداً ومُبشِّراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه ، وسِراجاً مُنيراً ﴾ [2] .

ورضي الله عن الصحابة والتابعين ، الذين دعوا بدعوته ، واهتدوا بهديه ، وعَمَّن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ...

وبعد :

فقد اشتدت الحاجة اليوم إلى كتابة المداخل العلمية لمختلف العلوم الضرورية الهامة ، تعريفاً للناس بها ، وتقريباً لموضوعاتها ومضامينها من الدارسين لها . وكلما كان العلم أبعدَ عن حياة الناس ، وأكثر تنوعاً في موضوعاته ، وأحدثَ نشأةً وتاريخاً من غيره ، كانت الحاجة إلى كتابة مَدْخَل إليه أكثر وأكبر ...

---

(١) الآية / ٣٣ / من سورة فصلت .

(٢) الآية / ٤٥ ـ ٤٦ / من سورة الأحزاب .

ولما كان علم الدعوة من أحدث العلوم الشرعية نشأةً ، وأخطر العلوم الإسلامية موضوعاً ، كان لابد من كتابة مدخل إليه يقربه من الدارسين له ، ويعرف به من يجهله .

فليست الدعوة الإسلامية حركةً تلقائية عَفْويّة ، ولا مُجَرَّدَ وعظٍ للناس ، وتذكيرٍ بفضائل الإسلام وآدابه فحسب ـ كما فهمها كثير من المسلمين ، ومارسها كثير من الدعاة في العصور المتأخرة ـ وإنما هي كما كانت في نشأتها الأولى حركةً علمية وعملية ، تتميز في مبادئها وأهدافها ومصادرها ، وترتكز على أسس وقواعد علمية مدروسة ، وتنضبط بضوابط شرعية محددة ، فيختار لها أقوم المناهج ، وأحكم الأساليب ، وأفضل الوسائل ... إذ هي عمل صفوة الخلق سيدنا محمد ﷺ ، وعمل من سبقه من رسل كرام عليهم الصلاة والسلام ، وعمل من تبعه على هدى وبصيرة ...

قال تعالى :

﴿ رُسُلاً مبشرين ومُنْذِرين لئلا يكونَ للناس على الله حجةٌ بَعْدَ الرُّسُل ، وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ (١) .

وقال سبحانه :

﴿ قُلْ هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة ، أنا ومَن اتبَعني ... ﴾ (٢) .

---

(١) الآية / ١٦٥ / من سورة النساء .

(٢) الآية / ١٠٨ / من سورة يوسف عليه السلام .

وقد أتى على الناس حينٌ من الدهر ، فهموا فيه الدعوة إلى الله مجرَّدَ وعظٍ وتذكير ، أو عبادة وذِكْر ، أو علْم وتعليم ، أو حركة وجهاد ... وما إلى ذلك ، فَقَصَروا معناها العظيم الشامل على موضوعٍ من موضوعاتها أو جانب من جوانبها ، أو مظهر من مظاهرها ، ناسين أنها تشمل الخير كله ، فضعف في الناس أثرها ، وتَقَلَّص في الحياة خيرها ، وشابَ كثيراً من مفاهيمها الشوائب . مما جعل المهمة صعبةً على الدعاة المصلحين ، والعلماء المجددين ، ليصححوا للناس مفهومها ، ويعودوا بها إلى وضعها الصحيح ، ويعيدوا بناء الأمة على أساسها ، فكانت تعترضهم في حركتهم الدعوية العقبات الداخلية من المسلمين أنفسهم ، خاصتهم وعامتهم ، قبل أن تعترضهم المشكلات الخارجية من أعداء الأمة المتربصين بها ، مما بَطَّأ حركة الإصلاح ، وأخرَّ عملية النهوض ...

ولقد تنبهت بعض المؤسسات التعليمية إلى أهمية علم الدعوة ودراسته ، فَفَتَحتْ بعض الجامعات الإسلامية أقساماً لعلم الدعوة ، وخصص له بعضها كليات مستقلة ...

ويوم افتَتَحَتْ جامعةُ الإمام محمد بن سعود الإسلامية مشكورة المعهد العالي للدعوة الإسلامية في الرياض[1] عام ١٣٩٦ هـ الموافق ١٩٧٦ م ، هَمَمْتُ بالانتقال إليه من كلية الشريعة التي كنت أعمل فيها شعوراً مني بأهمية العمل الدعوي ، والدراسات الدعوية ، ولكن عزمي على الاستقالة في العام التالي لافتتاحه ، والعودة إلى بلدي صرفني عن ذلك الانتقال ...

---

(١) أصبح اسم المعهد حالياً « كلية الدعوة والإعلام » .

ثم كتب الله لي أن أعمل في المعهد العالي للدعوة الإسلامية [1] في المدينة المنورة الذي افتتح كفرعٍ لذلك المعهد عام ١٣٩٨ هـ الموافق ١٩٧٨ م ، ثم استقلَّ عنه ، فقضيت فيه أكثر من عشر سنوات ومازلت ، ساهمتُ فيه بوضع المناهج الدعوية المتنوعة للمرحلة العليا والمرحلة الجامعية ، مع زملاء أفاضل ، وعلماء دعاة جاءوا من أكثر من بلد ، وحملوا معهم أكثر من تجربة مفيدة في ذلك . فزادت قناعتي بأهمية العمل في هذا المجال العلمي ، وحاجته إلى دعم وتعميق ...

وكان من فضل الله علي في تلك السنوات ، أن أعيش أجواءً دعوية علمية ، تزامن حركتي الدعوية العملية ، مما جعلني أستشعر أكثر وأكثر بأهمية دراسة هذا العلم ، وحاجة الدعاة إليه ، تأصيلاً لقواعده من جهة ، وتقويماً لمناهج الدعوة القائمة وأساليبها ووسائلها ، وتسديداً لمفاهيمها وأعمالها من جهة أخرى .

فكنت كلما وقفتُ على قاعدة دعوية ، أو بَدَا لي مفهوم من مفاهيم الدعوة ، ذاكرتُ به من حولي دعاة وأساتذة ، وتدارسته مع طلابي في المرحلة العليا ، ودرسته لطلابي في المرحلة الجامعية كمذكراتٍ دراسية أولية في هذا العلم ، مع توضيح ذلك لهم ، والتأكيد على أن ما أمليه عليهم أو أدرسه لهم ، إنما هو في معظمه اجتهادات شخصية ، ودراسات أولية في سبيل تأصيل علم الدعوة ، وبلورة مصطلحاته ، وكثيراً ما أفدتُ من سؤال طالب ومراجعته ، ومن مناقشة زميل ومجادلته في مسألة من مسائل هذا العلم ، وماكنت أضيق ذرعاً ـ والحمد لله ـ بأي نقاش أو نقد في المجالس العلمية في المعهد ، أو في المناقشات العلمية للأبحاث والرسائل التي كنت أشرف عليها أو أناقشها ، وذلك رغبةً في

(١) أصبح اسم المعهد حالياً « كلية الدعوة »

الوصول إلى الحق من جهة ، واستزادة من الوضوح في مسائل هذا العلم الناشئ من جهة أخرى .

وبعد مرور سنوات علي ، وأنا على هذه الحالة ، بدأتُ أشعر بضرورة كتابة شيء في هذا العلم ، وإمكانية مساهمتي بشيء فيه ، ورافق ذلك إلحاح بعض الأحبة والدعاة والزملاء علي في ذلك .

فكنت أفكر يوماً بكتابة شيء عن مناهج الدعوة وأساليبها ، ويوماً بكتابة شيء عن وسائل الدعوة وأصولها ... نظراً لتوفر المادة الأولية فيها عن طريق المسودات الجاهزة لدي ، التي احتفظت بها كمذكرات طلابية خاصة .

ولما تعددت لدي المذكرات الدراسية ، ومارست عملياً تدريس معظم المواد الدعوية في المعهد ، ولأكثر من فصل دراسي ، واستقرت عندي بعض المعلومات والنتائج ، رأيت أن أعدل عن الكتابة في مادة من هذه المواد الدراسية ، إلى كتابة مدخل عام يتناولها جميعاً ، ويضع المعالم الأساسية لكل مادة منها ، ويلخص الأفكار والنتائج التي توصلت إليها ، لتكون جميعُها في كتاب واحد ، وإطار منسجم يلخص الفوائد ، ويمنع التكرار والتداخل في الموضوعات ، ويوسع دائرة الانتفاع بها ، ويفتح الباب للكتابة مستقبلاً في كل مادة من مواد هذا العلم كتابة مستقلة تزيدها وضوحاً وتفصيلاً ... وذلك مبادرةً مني للعمر الذي شارف على الانتهاء ، وكسباً للهمة الضعيفة المتبقية من جهة ، واغتناماً للفرص العارضة في زحمة الأعمال والواجبات المتنوعة من جهة أخرى .

ولاسيما أني لم أقف على كتاب عام شامل يسد هذه الثغرة ، أو بحث مستوف لهذه الجوانب المتعددة في علم الدعوة ، وكل ما وقفت

عليه في ذلك من جهود علمية ـ على الرغم من فائدتها ونفعها ـ لاتعدو صنفين أساسيين من الكتابات :

أ ـ صنف يعالج قضيةً أو أكثر من قضايا الدعوة ، فلا يُغَطي الحاجة المطلوبة ، ولعل أوسع ما وقفت عليه في ذلك كتاب « أصول الدعوة » للدكتور عبد الكريم زيدان ـ جزاه الله خيراً ـ الذي أراه أشبه مايكون بمدخل عام للدعوة .

ب ـ وصنف يأخذ الطابع الأدبي والوعظي ، ويبتعد عن الأسلوب العلمي ، مما قد يفيد العامة ، ولايغني الخاصة ، مع ملاحظة التفاوت والتباين في المصطلحات ، والاضطراب والتنوع في التقسيمات ، التي تُعدُّ طابعاً عاماً لما وقفت عليه ، وذلك لجدة العلم وعدم استقرار مصطلحاته بين الدعاة من جهة ، ولأن مُعْظم ما كتب من كتب دعوية ، لم يكتب للدارسين والمتخصصين في الدعوة من جهة أخرى .

ولا أريد بما قلته أن أنقص من قدر ما كُتبَ ، ومَنْ كتب ، فجزى الله الجميع خير الجزاء ، ولكنه بيان لطبيعة نشأة العلوم وتطورها ، فما من علم إلا وقد مر في مرحلة نشوئه بمثل هذه التطورات ، وأُخِذَ على ماكتب فيه قبل استقراره مثل هذه الملاحظات .

وإن عشرات السنين التي تمر في حياة العلوم ، وتُسهم في استقرارها على مختلف أنواعها ، ليست كثيرةً إذا ماقيست بعمر العلم كله ، وأثره في حياة الناس .

فأسأل الله عز وجل أن يجعلني من الذين ساهموا في بناء صرح هذا العلم العظيم (علم الدعوة) ، وأن يُسددني في جميع ماأكتب فيه وفي غيره ، وأن يجزي خيراً جميع من سبقوا إلى الكتابة فيه ، والذين

يكتبون وسيكتبون في تكميل بنائه ، وتسديد أخطاء من سبقهم ، فإن المهمة كبرى ، والزمن كفيل بعون الله وفضله باستكمال النواقص ، واستدراك الأخطاء .

وسأبذل ـ إن شاء الله ـ جهدي في تأصيل كل مسألة أكتب فيها ، فأستدل عليها بالأدلة الشرعية ، والقواعد العلمية ، كما ألتزم بإحالة جميع ما أنقله إلى مصادره ، سواء أكان نصاً شرعياً ، أم حكماً اجتهادياً ، أم تجربةً دعوية ... مستعيناً بالله ، وسائلاً إياه التوفيق والسداد ، وأن يتقبل هذا الجهد ، ويجعله خالصاً له ، وينفع به ، وأن يجعله ذخراً لي يوم ألقاه ...

والحمد لله رب العالمين

كتبها :

محمد أبو الفتح البيانوني

(المدينة المنورة)

* * *

قائمة بموضوعات الكتاب

يشتمل كتاب المدخل إلى علم الدعوة على مايلي :

١ ـ المقدمـــــة .

٢ ـ التمهيـــد : ويتناول :

أ ـ تعريف علم الدعوة ، وبيان نشأته ، وصلته بالعلوم الشرعية الأخرى .

ب ـ بيان حكم الدعوة ، وموضوع علم الدعوة .

جـ ـ تحديد مصطلحات علم الدعوة .

٣ ـ الفصل الأول : تاريخ الدعوة وتطورها .

ويشتمل على مقدمة وأربعة مباحث ، هي :

أ ـ الدعوة قبل الإسلام .

ب ـ الدعوة في زمن الرسول ﷺ وزمن خلفائه الراشدين .

جـ ـ الدعوة في زمن الأمويين ، والعباسيين ، والعثمانيين .

د ـ الدعوة في العصر الحديث .

٤ ـ الفصل الثاني : أصول الدعوة .

ويشتمل على مقدمة ومبحثين ، هما :

أ ـ أدلة الدعوة ومصادرها .

ب ـ أركان الدعوة : الداعي ـ المدعو ـ موضوع الدعوة .

٥ ـ الفصل الثالث : مناهج الدعوة .

ويشتمل على ثلاثة مباحث ، هي :

أ ـ التعريف بالمناهج الدعوية ، وبيان أنواعها وأهدافها .

ب ـ التعريف بالمناهج الثلاثة : العاطفي ، والعقلي ، والحسي ، وبيان أساليبها ، ومواطن استعمالاتها ، وخصائصها .

٦ ـ الفصل الرابع : أساليب الدعوة .

ويشتمل على مقدمة ، وخمسة مباحث ، هي :

أ ـ أسلوب الحكمة : تعريفه ، مظاهره ، خصائصه .

ب ـ أسلوب الموعظة الحسنة : تعريفه ، مظاهره ، خصائصه .

د ـ أسلوب المجادلة : تعريفه ، مظاهره ، خصائصه .

د ـ أسلوب القدوة الحسنة : تعريفه ، مظاهره ، خصائصه .

هـ ـ الخصائص العامة للأساليب الدعوية .

٧ ـ الفصل الخامس : وسائل الدعوة .

ويشتمل على مقدمة ، وأربعة مباحث ، هي :

أ ـ ضوابط مشروعية الوسائل الدعوية .

ب ـ نماذج من الوسائل المعنوية .

جـ ـ نماذج من الوسائل المادية .

د ـ الخصائص العامة للوسائل الدعوية .

٨ ـ الفصل السادس : مشكلات الدعوة وعقباتها .

ويشتمل على مقدمة ، وأربعة مباحث ، هي :

أ ـ المشكلات الداخلية (الذاتية) .

ب ـ معالم عامة في طريق معالجة المشكلات الداخلية .

جـ ـ المشكلات الخارجية .

ب ـ معالم عامة في طريق معالجة المشكلات الخارجية .

٩ ـ الخاتمـــــة .

١٠ ـ الفهارس العامة .

* * *

التمهيد

ويشتمل على مايلي :

١ ـ تعريف علم الدعوة ، وبيان نشأته ، وصلته بالعلوم الشرعية الأخرى .

٢ ـ بيان حكم الدعوة ، وموضوع علم الدعوة .

٣ ـ تحديد مصطلحات علم الدعوة .

١ ـ تعريف علم الدعوة ، وبيان نشأته ، وصلته بالعلوم الشرعية الأخرى :

اختلفت تعريفاتُ علم الدعوة ، وتعددت لدى الكاتبين والباحثين ، تبعاً لاختلافهم في تحديد معنى الدعوة من جهة ، وتفاوت نظرتهم إليها من جهة أخرى ، فلم أقف حتى الآن على تعريف سابق دقيقٍ شامل لحقيقة هذا العلم .

فهناك من نظر إلى الدعوة على أنها تبليغٌ وبيانٌ لما جاء به الإسلام فحسب ، وهناك من نظر إليها على أنها علم وتعليم ، وجردها عن الجانب التطبيقي والتنفيذي ... إلى غير ذلك من نظرات .

وهناك من عرفها تعريفاً عاماً يمزج بين مفهوم الدين ومفهوم الدعوة إليه ، كما فعل الأستاذ الشيخ محمد الراوي في كتابه « الدعوة الإسلامية دعوة عالمية » فقال : « هي الضوابط الكاملة للسلوك الإنساني وتقرير الحقوق والواجبات »[١] .

وهناك من قصر التعريف على بعض جوانبها ، كما فعل الشيخ محمد الخضر حسين في كتابه « الدعوة إلى الإصلاح » فعرفها بأنها : « حَثُّ الناس على الخير والهدى ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل »[٢] . واعتمد هذا التعريف الشيخ علي محفوظ في كتابه « هداية المرشدين »[٣] . وكما فعل ذلك الدكتور

---

(١) انظر ص ١٢ .

(٢) انظر ص ١٧ .

(٣) انظر ص ١٤ .

أحمد غَلُوش في كتابه « الدعوة الإسلامية » فقال عنها :

« العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام مما حوى عقيدة وشريعة وأخلاقاً ... »[1] .

وهناك من أدخل في تعريف الدعوة أهدافها وغاياتها كما فعل الأستاذ محمد الغزالي في كتابه « مع الله » فقال عنها : « برنامجٌ كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ، ليبصِّروا الغايةَ من محياهم ، وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين »[2] . وكما فعل الشيخ آدم عبد الله الألوري في كتابه « تاريخ الدعوة بين الأمس واليوم » فقال عنها :

« صَرْفُ أنظار الناس وعقولهم إلى عقيدة تفيدهم ، أو مصلحة تنفعهم ، وهي أيضاً : نُدْبَةٌ لإنقاذ الناس من ضلالة كادوا يقعون فيها ، أو من معصية كادت تحدق بهم »[3] . وقد اختار هذا التعريف واستحسنه الأستاذ : محمد خير رمضان في كتابه « الدعوة الإسلامية »[4] .

كما خلا كتاب الأستاذ الدكتور عبد الكريم زيدان « أصول الدعوة » من تعريف علمي للدعوة ، وشمل كتابه هذا الحديثَ عن الإسلام والدعوة إليه ...

كل هذا دعاني إلى أن أنظر في تعريف الدعوة نظرة جديدة مستقلة ، أتبع فيها مسالك العلماء السابقين في تعريفاتهم للعلوم ،

---

(١) انظر ص ١٠ .

(٢) انظر ص ١٧ .

(٣) انظر ص ١٧ .

(٤) انظر ص ١٢ .

وأتجنب في ذلك الأسلوب الأدبي والخطابي ، فأقول :

لابد للوصول إلى تعريف دقيق شامل لعلم الدعوة ، من الوقوف على تعريف كلٍ من المضاف والمضاف إليه في هذا الاسم ،

فالعلمُ في اللغة : « إدراك الشيء بحقيقته »[1] أو هو « أدراك الشيء على ما هو به »[2] ويُطلق العلمُ في الاصطلاح على « مجموع مسائلَ وأصولٍ كليةٍ تجمعها جهة واحدة ، كعلم الكلام ، وعلم النحو ، وعلم الأرض ، وعلم الكونيات ، وعلم الآثار ، وجمعها علوم ... »[3] .

والدعوةُ في اللغة : « الطلب ، يُقال : دعا بالشيء : طلب إحضاره ، ودعا إلى الشيء : حَثَّه على قَصْده ، يُقال : دعاه إلى القتال ، ودعاه إلى الصلاة ، ودعاه إلى الدين ، وإلى المذهب : حَثَّهُ على اعتقاده وساقه إليه »[4] .

ويمكننا استخلاص المعنى الاصطلاحي للدعوة من معناها اللغوي السابق وهو « الطلب والحثُّ على الشيء ، والسَّوْق إليه ... » فيتضمَّن معنى الدعوة إلى الإسلام طلبَ الناس وسوقَهم إليه ، وحثهم على الأخذ به ،

ولكي يشمل تعريفُ الدعوة الإسلامية مراحل الدعوة الثلاث : التبليغية ، والتكوينية ، والتنفيذية من جهة ، ولكي يحتوي على عناصر عمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عامة وعمل نبينا محمد ﷺ خاصة

---

(١) انظر « المعجم الوسيط » مادة (علم) (٦٣٠/٢) .

(٢) انظر « التعريفات » للجرجاني ص : ١٥٥ .

(٣) انظر « المعجم الوسيط » مادة (علم) (٦٣٠/٢) .

(٤) انظر « المعجم الوسيط » مادة (دعا) (٢٨٦/١) .

من جهة أخرى ... أرى أن تُعرَّفَ الدعوة الإسلامية اصطلاحاً بأنها :

« تبليغُ الإسلام للناس ، وتعليمُه إياهم ، وتطبيقه في واقع الحياة »

فقد بين الله عز وجل عمل رسوله ﷺ ، الداعية الأول للإسلام ، وفصَّله بما يشمل هذه العناصر الثلاثة في أكثر من موضع في كتابه ، فقال سبحانه وتعالى :

﴿ هو الذي بَعَثَ في الأُمِّيينَ رسولاً منهم ، يَتْلو عليهم آياته ، ويُزَكِّيهم ، ويُعلِّمُهم الكتابَ والحكمة ، وإنْ كانوا من قَبْلُ لفي ضَلال مبين ﴾ (١) .

فقد شمل قوله سبحانه ﴿ يتلو عليهم آياته ﴾ البيان والتبليغ وهو العنصر الأول من عناصر الدعوة ، كما شمل قوله ﴿ ويزكيهم ويعلمهم الكتاب ﴾ التربية والتعليم ، أو ما يُعبَّر عنه عادة في المصطلح الدعوي « التكوين » ، كما شمل قوله : ﴿ ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ التطبيق والتنفيذ ، لأن الكتاب هنا القرآن الكريم ، والحكمة هنا : السنة النبوية ـ كما ذهب إلى ذلك جمهور العلماء (٢) ، والسنَّةُ في حقيقتها (الطريقة) أي : طريقة تطبيق هذا القرآن ، فقد أوضحت السنة للمسلمين طريقة تطبيق القرآن على مستوى الأفراد والجماعات ...

ولا أنسى أن أشير هنا : إلى أن هذا التعريف الذي توصلت إليه

---

(١) الآية /٢/ من سورة الجمعة ، وانظر الآية /١٦٤/ من سورة آل عمران ، والآية / ١٢٩ ـ ١٥١ / من سورة البقرة .

(٢) انظر على سبيل المثال « الرسالة » للإمام الشافعي ص ٣٢ وما حولها ، وتفسير هذه الآية في أمهات التفاسير .

في تعريف « علم الدعوة » قاربَه بعضُ الكاتبين والباحثين في هذا العلم ، وإن لم تخل تعريفاتهم ـ في نظري ـ من شيء من التعميم والغموض الذي لايصلح في التعريفات .

فقد سبق أن عرف الدعوة الأستاذ بهي الخولي بقوله : « نقل الأمة من محيط إلى محيط »[1] وعرفها الدكتور رؤوف شلبي بقوله : « الحركة الإسلامية في جانبيها النظري والتطبيقي »[2] .

كما لا أنسى أن أشير أيضاً إلى أن الدعوة تُطلق أحياناً على الإسلام نفسه المَدْعو إليه ، ولعلَّ منه قوله تعالى :

﴿ لَهُ دَعْوَةُ الحقّ ... ﴾[3] فقد ذكر الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ عند تفسيره لهذه الآية أن فيها قولين : « أحدهما : أنها كلمة التوحيد وهي : لا إله إلا الله ، قاله عليٌّ وابن عباس والجمهور ، فالمعنى : له من خَلْقه الدعوةُ الحق ، فأضيفت الدعوة إلى الحق لاختلاف اللفظين والثاني : أن الله عز وجل هو الحق ، فمن دعاه دَعا الحق ، قاله الحسن »[4] .

إلا أن لفظ الدعوة إذا أُطلق ينصرف عرفاً إلى المعنى الأول الذي عرفناها به وهو « الدعوة إلى الإسلام » وهو المعنى الذي تواردت عليه معظم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

---

(١) انظر « تذكرة الدعاة » ص ٣٨ .

(٢) انظر « الدعوة الإسلامية في عهدها المكي » ص ٣٨ .

(٣) الآية / ١٤ / من سورة الرعد .

(٤) انظر « زاد المسير في علم التفسير » (٣١٧/٤) ط المكتب الإسلامي ، وتفسير ابن كثير (٥٠٧/٢) ط دار المعرفة .

ومما سبق بيانه ، يمكننا تعريف عِلْمِ الدعوة بعد أن أصبح عَلَماً على علمٍ معين ، بأنه :

« مجموعةُ القواعد والأصول التي يُتَوَصَّل بها إلى تبليغ الإسلام للناس وتعليمه وتطبيقه » .

وفي ختام الحديث عن تعريف علم الدعوة أود أن أناقش شبهة من قَصَرَ معنى الدعوة على التبليغ والبيان فحسب ، ونظر إلى التعليم والتطبيق نظرته إلى أمور خارجة عن الدعوة ، مستشهداً لذلك بمثل قوله تعالى :

﴿ ما على الرسول إلا البلاغ ﴾ [1] وقوله ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ [2]، وفاهماً أن هذه الآيات وأمثالها تحصر عمل الرسل الكرام والدعاة في جانب التبليغ فقط .

وللإجابة عن هذه الشبهة أقول :

إن هذه الآيات القرآنية وأمثالها وردت في سياق إعراض الناس عن الدعوة ، فحيث يُعرضُ المدعوون عن الدعوة لايُكلَّفُ الرسل الدعاة إلا بالبيان والتبليغ فقط ، أما الهداية فإنما هي على الله سبحانه وتعالى ، ولايملكها إلا هو .

أما حين يستجيب المدعوون للدعوة ، ويقبل الناس على الإسلام ، فعلى الداعية تعليمُهم دينهم ، والسعيُ لتطبيق هذا الدين في حياتهم ، كما كان يفعل النبي ﷺ مع من استجاب له في مكة المكرمة ، حيث كان

---

(١) الآية / ٩٩ / من سورة المائدة .

(٢) الآية / ٥٤ / من سورة النور ، و/ ١٨ / من سورة العنكبوت .

يجتمع بهم في دار الأرقم ابن أبي الأرقم ليعلمهم دينهم ويزكيهم [1] ، وكما كان يفعل إذا أسلم شخص عنده ، فيقول لأصحابه : « فَقّهوا أخاكم في دينه ، وعلموه القرآن ... »[2] .

ولو أمعنا النظر في الآيات نفسها التي استدل بها المشتبه ، لرأينا معظمها يصرح بهذه الحقيقة ، ويعلق حصر عمل الرسول بالبلاغ بإعراض الناس وتولّيهم ، كما جاء في قوله تعالى :

﴿ وإن تولوا فإنما عليك البلاغ ﴾ [3] وقوله : ﴿ فإن تَولّيتم فاعلموا أنّما على رسولنا البلاغُ المبين ﴾ [4] وقوله : ﴿ فإنْ أعرضوا فما أرسلناكَ عليهم حفيظاً ، إنْ عليك إلا البلاغ ﴾ [5] .

وبهذا تجتمع دلالة هذه الآيات القرآنية مع دلالة الآيات الأخرى التي نصت على أعمال أخرى للرسول الكريم من تلاوة لآيات الله ، وتزكية وتعليم للكتاب والحكمة ، كما تنسجم مع الواقع العملي لدعوة الرسول ﷺ في حياته ، وواقع دعوة صحابته وأتباعه من بعده .

ولقد أسهبت في دفع هذه الشبهة ، وحرصت على توضيح عمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والدعاة من بعدهم ، نظراً لما ترتب على مثلها من مواقف خاطئة ونظرات قاصرة لعمل الدعوة في العصر الحاضر . فقد قَصَر بعض إخواننا الدعاة عملهم على جانب حتى عُرِفوا به ظانين

---

(١) راجع « السيرة النبوية » لابن هشام (٢٥٣/١) في الحاشية .

(٢) راجع « البداية والنهاية » (٣١٣/٣) و « حياة الصحابة » (١٩٣/١) .

(٣) الآية / ٢٠ / من سورة آل عمران .

(٤) الآية / ٩٢ / من سورة المائدة .

(٥) الآية / ٤٨ / من سورة الشورى .

أنه عمل الأنبياء فحسب ، بل نظر بعضهم إلى غيرهم من الدعاة الذين يُعنون بالعلم والتعليم ، أو بالتطبيق والتنفيذ ، نظرة استخفاف ونقد ، كما نظر بعض المعتنين بالعلم والتعليم ، أو التنفيذ والتطبيق لأولئك المبلغين نظرة استخفاف أيضاً ، فوجهوا لهم النقد الشديد في توجههم ودعوتهم ، دون أن يفهم بعضهم بعضاً ، ويقدر بعضهم قدر بعض ، مما زاد المسلمين بعداً وفرقة .

ولو علم هؤلاء وهؤلاء أنه يَسَعُ الداعية أن يعمل في الميدان الذي يختاره ، والعمل الذي يناسبه من أعمال الدعوة مراعياً في ذلك إمكاناته واستعدادته من جهة ، أو مقدماً أولوية على غيرها في نظره من جهة أخرى ، على أن لايقصر مفهوم الدعوة الإسلامية على عمله واختياره ، أو ينظر إلى من خالفه في ذلك نظرة ابتداع أو خروج عن عمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فالميدان الدعوي واسع ، وجوانب العمل متعددة ، والمسؤولية أكبر من أن تقوم بها جماعة من الجماعات ، والثغرة أوسع من أن يَسُدَّها عملٌ من الأعمال .

فلو علم الطرفان هذه الحقيقة ، وفهموها فهماً متوازناً ، لشكر بعضُهم جُهدَ بعض ، ونظر كل طرف إلى العاملين الآخرين في أي مجال دعوي نظرته إلى أعوانه وشركائه .

وأختم حديثي عن هذه المسألة بمقولة كريمة ، وحكمة عظيمة سمعتها شخصياً من الداعية المشهور الأستاذ أبو الأعلى المودودي ـ رحمه الله ـ وذلك قبل وفاته بسنوات في مكة المكرمة ، حيث زرتُه في فندق « شبرا » في مكة المكرمة ، وسألته في جلسة خاصة عن رأيه في « جماعة التبليغ » التي نشأت في الهند ، وانتشرت في كثير من بقاع الأرض ،

والتي سمعتُ من بعض أفرادها نقداً لعمل الأستاذ المودودي ، وأنه ترك الدعوة ، وعمل في السياسة والحكم ، فقال لي بلسان عربي بطيء كلماتٍ قليلةً تصلح درساً لجميع الدعاة ، وأنموذجاً صالحاً لنظرة كل عامل وداعية إلى غيره ، قال :

« إنهم يَسدُّون عنا ثغرةً لانستطيع سدَّها ، ولانَنْتَقِدُهم ، ومنهم من يَنْتَقِدُنا » .

ولانستطيع أن نصل إلى مثل هذا التوازن في النظرة إلى الآخرين ، إلا إذا فهمنا الدعوة الإسلامية فهماً واسعاً شاملاً لجميع أعمال الرسول ﷺ ، ولعل تعريفنا الذي توصلنا إليه في تعريف الدعوة يُساعد على ذلك التصور الشامل ، والمفهوم الصحيح ، والله المستعان .

هذا عن تعريف علم الدعوة .

أما نشأة علم الدعوة :

فقد بدأت الدعوة الإسلامية أول مابدأت علماً وعملاً ، إذ قام رسول الله ﷺ بين الناس داعياً إلى الله ، يتلو عليهم آياته ، ويُعَلِّمُ من استجاب منهم لدعوته الكتابَ والحكمة ويُزكيهم ...

وتحمَّلَ رسول الله ﷺ في سبيل ذلك ماتحمل ، وصبر وصابر حتى أظهر الله دينه ، وأعلى كلمته ، وحَقَّق للمؤمنين وعده :

﴿ هو الذي أرسلَ رسولَه بالهُدى ودينِ الحقِ ، ليُظْهِرَه على الدين كُلِّه ، ولو كَرِهَ المشركون ﴾ [1] .

---

(١) الآية / ٣٣ / من سورة التوبة .

فتَبعَه على ذلك صحابته الأكرمون ، وخلفاؤه الراشدون ، فكانوا هادين مهديّين ، تابعوا المسيرة ، وحَملوا الأمانة ... وجاء مِنْ بَعْدِهم التابعون لهم بإحسان ، فاقتفوا آثارهم وقاموا بوظيفتهم حق القيام ...

ثم تبعهم في ذلك أجيال وأجيال ، نشروا هذا الإسلام ، وبلغوا فيه كل مَبْلغ ، وتضافرت على حمل هذه الرسالة في تلك العصور جميعُ الجهود الفردية والجماعية ، حيث كان الفرد المسلم يرى في الدعوة إلى الله حياتَه ومناط سعادته في الدنيا والآخرة ، فلا يصرفه عنها صارف ، ولا يثنيه عن القيام بواجبها عقبة من العقبات ، فيبذل في سبيل دعوته كل شيء .

كما كانت الدولة المسلمة ترى الدعوة إلى الله أولى وظائفها وأهم واجباتها ، بل ترى الدعوة سرَّ وجودها وقيامها ، فكانت للدعوة تُخطِّط ، ولصالحها تتحرك داخلياً وخارجياً ، تحفظ الأحكام ، وتطبق النظام ، وتقيم الحدود ، وترسل الدعاة ، وتستقبل الوفود ، وتسد الثغور ، وتُنْفِذ الجيوش ، وتُعد العُدة ...

كل هذا جعل المجتمع الإسلامي بكل وحداته ومؤسساته مجتمعاً دعوياً يعمل لصالح هذه الدعوة ، ويحقق ما وَصَفَهُ الله به بقوله :

﴿ الذين إن مَكَّناهم في الأرض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونَهَوا عن المنكر ، ولله عاقبةُ الأمور ﴾[1] .

---

(١) الآية / ٤١ / من سورة الحج .

ومجتمعٌ كهذا المجتمع ، لم يكن في حاجة ليبرز فيه علم خاص يُعرف بعلم الدعوة ، أو توجَدَ فيه مؤسسات دعوية ، وأخرى غير دعوية !

حتى خلف في المسلمين خَلْف ، أضاعوا كثيراً من تلك الخصائص وغفلوا عن كثير من هذه الواجبات ، فكانت هناك مجتمعاتٌ كَثُر فيها القاعدون ، وقَلَّ فيها الدعاة العاملون ... كما نَمت فيها مفاهيم مغلوطة فصلت العلم عن العمل ، وأضاعت بركته ، وأفرزت عناصر تهتم بالعلم على حساب العمل ، وأخرى تعمل على جهل ، وذلك على مختلف المستويات الفردية والجماعية ، فتتابعت بذلك على المسلمين المصائب ، وفقدت الدعوةُ كثيراً من حيويتها وحركتها ، إلى أن طُعِنت الدعوة الإسلامية في أعلى مؤسساتها ، وأقوى دعائمها بسقوط الخلافة الإسلامية ، فكانت قاصمة الظهر .

ثم استيقظ بعض المسلمين من غفلتهم ، وعرفوا عِظَم مصيبتهم ، واجتهدوا في النهوض بدعوتهم ، فكانت هناك محاولات فردية وجماعية ، وتعددت في سبيل ذلك الاجتهادات العلمية والعملية ، وانبثقت الحاجة الجديدة إلى وجود عِلْم يعرف بعلم الدعوة ، يعتمد على فهم الكتاب والسنة ، ويقوم على سَنَن النبوة الطاهرة ، والخلافة الراشدة ، ويستنير بالتجربة الطويلة الرائدة لرحلة الدعوة على مدى العصور والأزمان ، ويعود بالمسلمين إلى وظيفتهم التي أخرجوا بها للناس ، قال تعالى :

﴿ كنتم خيرَ أمةٍ أُخْرِجَت للناس ، تَأمُرون بالمعروف ، وتَنْهون عن المنكر ، وتُؤمنون بالله ... ﴾ [1] .

---

(١) الآية / ١١٠ / من سورة آل عمران .

فكتبَ حول الدعوة الكاتبون والدعاة ماكتبوا ، وقدموا لخدمة هذا العلم ماقدموا ، حتى قامت باسم الدعوة منظماتٌ ومؤسسات ، وعُرِفَ بها أفراد وجماعات ، وأصبحنا في عصر صارت فيه الدعوة علماً من العلوم المتعددة ، له مؤسساته التعليمية ، ومناهجه الدراسية ...

وبرزت الحاجة إلى هذا العلم مُلِحَّةً ، نظراً لما يكتنف العمل الدعوي الحالي من غموض في بعض مفاهيمه ، وخَلَلٍ واضطراب في بعض أصوله وقواعده ، ومعاناة كبيرة من قصور مناهجه ، وخطأ أساليبه ، وضعف وسائله ...

ولايزال هذا العلم الناشئ ـ كما أشرت في المقدمة ـ بحاجة ماسة إلى تأصيل موضوعاته ، وتحديد مصطلحاته ، وتصحيح تطبيقاته ، وما إلى ذلك ، شأنه في ذلك شأن أي علم جديد ناشئ .

ولعل هذا المدخل يُساهم في تحقيق هذه الأهداف ، ويسد حاجة من هذه الحاجات .

هذا عن نشأة علم الدعوة ،

أما عن علاقته وصلته بالعلوم الشرعية الأخرى :

فلا شك في أن العلوم الشرعية قد تعددت وتنوعت بحسب موضوعاتها ، فكل علم من هذه العلوم يبحث في جانب من جوانب علوم الإسلام الكامل الشامل .

وإن الناظر في طبيعة ونشأة العلوم الإسلامية المتعددة يجدها ترجع إلى أحد أمور ثلاثة جاء بها هذا الإسلام ، وهي : المِلّة ، والشريعة ، والمنهج ، التي يجمعها اصطلاح (دين) أو (إسلام) .

فقد تعبَّد الله عز وجل عباده بهذه الأمور جميعاً ، وبَيَّن أن الملة واحدة ، والشرائع والمناهج متعددة ، فقال سبحانه مبيناً وحدَة الملة :

﴿ ثم أوحينا إليك أن اتَّبِعْ مِلَّةَ إبراهيم حينفاً، وما كان من المشركين ﴾ (١) .

وقال أيضاً :

﴿ قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ، ديناً قِيَماً مِلَّة إبراهيم حنيفاً ، وما كان من المشركين * قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لاشريك له ، وبذلك أُمِرت ، وأنا أول المسلمين ﴾ (٢) .

وقال أيضاً :

﴿ إني تركتُ مِلَّة قوم لا يؤمنون بالله ، وهم بالآخرة هم كافرون * واتبعت مِلَّة آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب ، ماكان لنا أَنْ نُشْرك بالله من شيء ، ذلك من فَضْل الله علينا وعلى الناس ، ولكنَّ أكثر الناس لايشكرون ﴾ (٣) .

كما قال الله تعالى مبيناً تعدُّدَ الشرائع والمناهج :

﴿ إنا أنزلنا التوراةَ فيها هُدَى ونورٌ، يَحكمُ بها النبيون الذين أَسْلموا للذين هادوا ، والربّانيون والأحبارُ بما استُحْفِظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ... إلى أن قال :

---

(١) الآية / ١٢٣ / من سورة النحل .

(٢) الآية / ١٦١ ـ ١٦٣ / من سورة الأنعام .

(٣) الآية / ٣٧ ـ ٣٨ / من سورة يوسف عليه السلام .

وقفّينا على آثارهم بعيسى ابن مريم ، مصدقاً لما بين يديه من التوراة ، وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونورٌ، ومصدقاً لما بين يديه من التوراة ، وهدى وموعظةً للمتقين .. إلى أن قال :

وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مُصَدِّقاً لما بَيْنَ يديه من الكتاب ، ومُهيمناً عليه ، فاحكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تَتَّبع أهواءهم عما جاءك من الحق ، لكلٍ جَعَلْنا منكم شِرْعةً ومِنْهاجاً ، ولو شاء الله لجعلكم أمةً واحدة ، ولكن لِيَبْلوكم فيما آتاكم ، فاستَبِقوا الخيرات ، إلى الله مَرجِعُكم جميعاً ، فَيُنَبِّئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾ (١) .

وسيأتي معنا قريباً في هذا التمهيد بيان معنى كلٍ من الملة والشريعة والمنهج تفصيلاً عند الكلام عن مصطلحات علم الدعوة ــ إن شاء الله ــ

ويكفي هنا أن نعلم بأن دراسة (الملة) أصبحت من اختصاص أقسام العقيدة في الجامعات الإسلامية اليوم ، كما أن دراسة (الشريعة) أصبحت من اختصاص أقسام الكتاب والسنة ، وأقسام الفقه والأصول ، وأصبحت دراسة (المنهج) من اختصاص أقسام الدعوة .

وإن هذه الدراسات جميعها تمثل دراسة الدين الواحد الذي يشمل كلاً من الملة والشريعة والمنهج .

لهذا ، كان أي فَصْلٍ كامل بين هذه الدراسات ، أو العناية بواحدة منها على حساب الأخرى ، يُعدُّ فصلاً بين أجزاء مترابطة ، لايصح الدين ولا يَكمُل ولا يَسْلَمُ إلا بها جميعاً .

---

(١) الآية / ٤٤ ــ ٤٨ / من سورة المائدة .

فالداعية إلى الله يدعو إلى كلٍ من الملة والشريعة والمنهج ، والدارس للملة والشريعة لابد له من معرفة المنهج والطريق الصحيح لذلك ، فكل اختصاص من هذه الاختصاصات مفتقر إلى غيره ، وإذا كان ثَمَّة من فارق ، فإنما هو في نوعية التخصص من جهة ، ومدى عناية أصحاب كل تخصص بتعميق وتأصيل بعض المواد العلمية المتعلقة بتخصصهم أكثر من بعض المواد الأخرى من جهة أخرى .

فإذا كانت أقسام العقيدة تُعنى أول ماتُعنى بدراسة العقيدة التي تتناول أصول الملة وفروعها ، ودراسة الملل والنحل الأخرى ، فإنه لاغنى لدارس العقيدة عن دراسة الأحكام الشرعية ومعرفتها ، وعن بصيرة بالمنهج والأسلوب الذي يدرس به هذه العقيدة ويدعو به إليها ، لتسلَمَ له عقيدتُه ، ويَعلمَ كيف يدعو إليها ويعلمها ويطبقها في حياته ... وإلا كانت دراسته نظريةً مجردة .

وإذا كانت أقسام القرآن والسنة ، وأقسام الأصول والفقه ، تُعنى أول ماتعنى بدراسة القرآن الكريم والحديث الشريف ، وبدراسة أصول الفقه وأحكام الفقه ، فإنه لاغنى لدارس هذه العلوم من معرفة صحيحة بالملة والعقيدة التي تُعدُّ أساساً لها ، ومن بصيرة بالمنهج والأسلوب الذي يدرس به هذه الشريعة ، ويدعو به إليها ويعلمها للناس ويعمل على تطبيقها في حياتهم ، وإلا كانت عباداته جافة ، وأضحت دراسته للكتاب والسنة نظرية مجردة .

وإذا كانت أقسام الدعوة تُعنى أول ماتعنى بدراسة تاريخ الدعوة وأصولها ، والتعرف على مناهجها وأساليبها ووسائلها وما إلى ذلك ... فإنه لاغنى لدارس الدعوة من معرفة صحيحة بالملة والعقيدة ، وإلمام

وافٍ بالأحكام الشرعية العملية ، لتسلم له عقيدته وشريعتُه من جهة ، ويكونَ على بصيرة بما يدعو إليه من جهة أخرى . وإلا كانت دعوته إلى ضلال ، وعمله في غير هدى ، قال تعالى :

﴿ قُلْ هذه سَبيلي أَدْعـو إلى الله على بَصِيـرة ، أنـا ومَن اتبَعني ﴾ [1] .

ومن هنا يتبـيَّنُ لنا : أن اختـلاف الأقسـام العلمـية في ترتيب أولياتـها ، وفي تقديم مادة علمـية على غـيرها ، إنما يعـود إلى واقع تخصصها وطبيعة ميدانها فحسب ، ولاصلة له بتفضيل علم على علم أو ترجيح تخصص على غيره ، بل لابد لكل قسم من هذه الأقسام أن يُقَدِّم للدارسين فيه الحد الأدنى الكافي من العلوم الأخرى ، وإن لم تكن من تخصصه في الأصل ...

ويمكنني أن أضرب مثلاً حسياً يبرز لنا صِلَةَ هذه الاختصاصات العلمية بعضها ببعض ، ويكشف لنا عن مدى الترابط بينها :

فإن مثل الملة والشريعة والمنهج ، مثلُ الماء الصافي الذي ينبع من مكان معين ، ثم يمشي في جداول وسواقي يروي الأرض ، وينبت الزرع ، ويستقي منه الناس ...

فأصل النبع ومكانه يمثل (المـلّة الواحدة الثـابتة) ، والماءُ المتدفق الجاري الذي يروي الأرض وينبت الزرع ويستقي منه الناس ، يمثل (الشريعة الكاملة المستمرة ...) والجداولُ والسواقي المنتشرة هنا وهناك ، التي يجري الماء في إطارها ، ويتـمكن الناس بسببها من الاستفادة من الماء

---

(١) الآية / ١٠٨ / من سورة يوسف عليه السلام .

على وجه متكامل صحيح ، تمثل المنهج الواضح .

فإن أي ضَعْفٍ أو ضمور في النبع ومصدر الماء ، يؤثر تأثيراً كبيراً في كمية الماء الذي يصدر عنه ، فيضعُفُ سَيْرُه في الجداول والسواقي ، وتقلُّ فائدته ، وقد تُصاب مناطق كثيرة بسبب ذلك بالجفاف والجدب ...

كما أن أي رافدٍ غريب قَدْ يَرْفد هذا النبع ، يعكر من صَفْو الماء ، ويخرجه عن طبيعته الأولى ...

وأي خَلَلٍ في الجداول والسواقي التي تشكل طريق هذا الماء ، قد يُبعثر انتشاره ، ويقلل من الاستفادة منه ، كما قد يضر انتشاره حيث لايراد انتشاره فيه ، أو يتأخر وصوله إلى المكان الذي ينتظره بسبب ذلك ، وهكذا ...

فإنه بقدر حرصنا ومحافظتنا على سلامة المنبع وبقائه ، وسلامة الجداول والسواقي وكثرتها ، يمكننا أن نحافظ على صفاء وقوة تدفّقه ، وعظم آثاره وفوائده ، وبقدر إهمالنا لذلك المنبع ، أو غفلتنا عن تلك الجداول نُعاني من تكدُّر الماء وتغير طبيعته ، وقلة تدفّقه وضعف أثره .

* * *

٢ ـ بيان حكم الدعوة ، وموضوع علم الدعوة :

أ ـ بيان حكم الدعوة :

اتفق العلماء على وجوب الدعوة ، واختلفوا في نوعية الوجوب ، هل هو على التعيين ، أم على الكفاية ؟ وتوسع كل طرف في الاستدلال على قوله بالنصوص الشرعية والأدلة العقلية ، مما قد يُشْعِرُ المطّلع على هذا الخلاف والاستدلال بالبعد بين القولين ، والأثر الكبير لهما في جانب العمل . والذي رأيته بعد متابعة القولين وأدلتهما أن الخلاف بينهما أشبه بالخلاف النظري ، وتَضيقُ المسافةُ بينهما في الجانب العملي .

وقبل أن أقرر هذه النتيجة ، لابد من إلمامة مجملة بأصل الخلاف في المسألة مع الاستدلال عليها . فأقول :

استدل العلماء القائلون بالوجوب العيني بأدلة منها :

١ ـ بأن لفظة « من » في قوله تعالى ﴿ ولتكن مِنْكم أمةٌ يدعون إلى الخير، ويَأْمُرون بالمعروف ويَنْهونَ عن المنكر، وأولئك هم المفلحون ﴾ [١] . هي : للبيان والتبيين ، وليست للتبعيض وذلك بقرينة الأدلة الأخرى التالية ، فتفيد هذه الآية عندهم توجيه الخطاب بالدعوة إلى جميع المكلفين ، فتكون الدعوة واجبة على كل فرد مسلم بقدر استطاعته [٢] .

---

(١) الآية / ١٠٤ / من سورة آل عمران .

(٢) راجع هذا المعنى في كل من تفسير ابن كثير (٢/١٩٥ ـ ١٩٦) وتفسير الرازي (٧/١٧٧ ـ ١٧٨) وتفسير القرطبي (٤/١٦٥) وغيرها .

٢ ـ بعموم قوله تعالى : ﴿ كنتم خَيرَ أمة أُخْرِجَتْ للناس ، تَأمرون بالمعروف وتَنْهون عن المنكر، وتؤمنون بالله ﴾ [١] . فجعلت الآية الدعوة سمةً عامة من سمات الأمة المسلمة ، فتكون واجبة عليها جميعاً .

٣ ـ وبقوله ﷺ : « من رأى منكم منكراً فليُغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » [٢] . وإن « مَنْ » من ألفاظ العموم فيعم الحكم .

٤ ـ وبعموم قوله ﷺ : « ليُبْلِغ الشاهدُ الغائب ، فإن الشاهد عسى أن يُبلغ من هو أوْعى له منه » [٣] .

واستدل العلماء القائلون بالوجوب الكفائي بأدلة ، منها :

١ ـ بأن لفظة « من » في قوله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة ... الآية ﴾ هي للتبعيض ، وذلك بقرينة الأدلة التالية [٤] .

٢ ـ وبقوله سبحانه : ﴿ وما كان المؤمنون لِيَنْفروا كافةً ، فلولا نَفَر مِنْ كل فِرْقة منهم طائفةٌ لِيتفَقَّهوا في الدين ، ولِيُنذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ، لعلَّهم يَحْذَرون ﴾ [٥] .

---

(١) الآية / ١١٠ / من سورة آل عمران .

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، انظر صحيح مسلم رقم (٤٥) كما أخرجه أصحاب السنن : انظر سنن الترمذي (٢١٧٣) وأبي داود (١١٤٠) والنسائي (١١١/٨) وابن ماجة (٤٠١٣) .

(٣) الحديث رواه البخاري في صحيحه ، انظر رقم (٦٧) وفتح الباري (١٥٨/١) .

(٤) راجع هذا المعنى أيضاً في معظم التفاسير التي أشرت إليها سابقاً في الكلام عن القول الأول .

(٥) الآية / ١٢٢ / من سورة التوبة .

٣ ـ ولأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عمل يحتاج إلى علم وبصيرة بالشروط والأحوال ، وهذا لايتوفر في جميع المسلمين ، فيكون الواجب على من توفر فيه الشرط ، فإذا قام بواجب الدعوة من توفرت فيهم الشروط سقط الإثم عن الباقين . إلى غير ذلك من أدلة .

وقد اختلف العلماء أيضاً في ترجيح أحد القولين على الآخر ، فمنهم من رجح القول الأول ، ومنهم من رجح القول الثاني ، ولا أرى حاجة للدخول في هذه الترجيحات مادام الخلاف في نظري خفيفاً ليس له من أثر عملي كبير ... وذلك لما يلي :

١ ـ لاتفاق الطرفين على أصل الوجوب .

٢ ـ ولأن الذين قالوا بالوجوب الكفائي، يتفقون مع الآخرين على أنه إذا لم تحصل الكفاية لم يسقط الحكم عن الباقين ، ويبقى الخطاب متوجهاً إلى الجميع حتى تتحقق الكفاية ، وإذا لم تتحقق الكفاية أثم الجميع .

٣ ـ ولأن الذين قالوا بالوجوب العيني ، قيدوا الوجوب بالاستطاعة ، فمن لم يكن عالماً بحكم المنكر لايُعدُّ مستطيعاً بالاتفاق ، وكذلك من كان عاجزاً عن تغيير المنكر سقط عنه الوجوب ، فلا يترتب على القول بالوجوب العيني حرج على أحد .

٤ ـ ولأنه لوسقط الوجوب بقيام من تتحقق بهم الكفاية ، بقي حكم الندب ، فيندب جميع المسلمين إلى القيام بالدعوة استدلالاً بقوله تعالى : ﴿ ومَنْ أَحْسَنُ قولاً ممن دَعا إلى الله وعَمِلَ صالحا ،

وقال إنني من المسلمين ﴾ [1] . وبغير ذلك من نصوص شرعية ترغب في الدعوة وترتب على فعلها الثواب العظيم .

هذا كله من جهة ، ومن جهة أخرى : إن تَصَوُّرَ تحقّق الكفاية في جانب الدعوة أمرٌ شبه مستحيل ، لأن للدعوة الإسلامية مجالين أساسيين :

أ ـ دعوة غير المسلمين للإسلام .

ب ـ دعوة المسلمين أنفسهم إلى الإسلام ، على مختلف درجاتهم فيه ـ كما سيأتي في أصناف المدعوّين ـ .

وكلا المجالين مُتجدِّد ، وتستمر الحاجة إلى الدعوة فيه ، ولايمكن أن تتصور الكفاية فيهما إلا على نطاق نادر ومحدود .

ومن هنا كانت النصيحة مطلوبةً من جميع المسلمين ، بل كان الدينُ النصيحة ، كما صرح بذلك قوله ﷺ : « الدين النصيحة ، قلنا : لمن ؟ قال : لله ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم » [2] ، وكان التواصي بالحق والتواصي بالصبر شرطين أساسيين من شروط النجاة في الحياة كما صرح بذلك القرآن الكريم في سورة العصر .

ب ـ بيان موضوع علم الدعوة :

لابد لبيان موضوع علم الدعوة من بيانٍ لموضوع الدعوة نفسها ، وذلك دفعاً للالتباس والتداخل ،

---

(١) الآية / ٣٣ / من سورة فصلت .

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه عن تميم بن أوس الداري رضي الله عنه ، انظر صحيح مسلم رقم (٥٥) ، كما أخرجه الترمذي في سننه (١٩٢٧) وأبو داود (٤٩٤٤) والنسائي (١٥٦/٧) .

فإذا نظرنا في تعريف الدعوة الذي اخترناه سابقاً هو « تبليغ الإسلام للناس ، وتعليمه إياهم ، وتطبيقه في واقع الحياة » بانَ لنا أن موضوع الدعوة هو (الإسلام) الذي يعمل الداعية على تبليغه وتعليمه وتطبيقه .

وإذا نظرنا في تعريف علم الدعوة الذي عرفناه به سابقاً وهو : « مجموعةُ القواعد والأصول التي يُتوصل بها إلى تبليغ الإسلام للناس ، وتعليمه وتطبيقه » . بانَ لنا بأن موضوعه يشمل جميع المسائل العلمية والقواعد والأصول التي يتوصل بها الداعية إلى القيام بدعوته حق القيام . وهي جميع ما يدرسه طالب علم الدعوة من موضوعات علمية ، أو مواد دراسية ليحصل ذلك العلم . ويمكننا تفصيل هذه الموضوعات والمواد الدراسية في عدة أمور :

١ ـ تاريخ الدعوة : وهو موضوع يتناول دراسة نشأة الدعوة وتطورها من زمنه ﷺ إلى يومنا هذا ، أو من زمن آدم عليه السلام إلى يومنا هذا ـ على اختلاف اصطلاحي في تحديد الزمن ـ .

٢ ـ أصول الدعوة : وهو موضوع يتناول بيان أدلة الدعوة ومصادرها ودراسة أركانها بما يشمل : الداعي والمدعو وموضوع الدعوة .

٣ ـ مناهج الدعوة : وهو موضوع يتناول خطط الدعوة ونظمها المرسومة لها .

٤ ـ أساليب الدعوة : وهو موضوع يتناول بيان كيفية تطبيق مناهج الدعوة .

٥ ـ وسائل الدعوة : وهو موضوع يتناول دراسة مايستخدمه الدعاة ومايحتاجون إليه في سبيل دعوتهم .

٦ ـ مشكلات الدعوة وعقباتها : وهو موضوع يقف بالداعية على المشكلات والعقبات التي تعترض طريق الدعوة ، وسبل معالجتها ، سواء أكانت عقبات داخلية أم خارجية .

ولما كانت المداخل العلمية تشمل موضوعات العلوم الأساسية ، كان كتابنا هذا (المدخل إلى علم الدعوة) شاملاً لجميع هذه الموضوعات على وجه إجمالي ينسجم مع طبيعة المداخل العلمية .

وأود هنا أن أشير إلى أنَّ هناك من يُدخل موضوع « سِيَر الدعاة وتراجمهم » في موضوعات علم الدعوة ، نظراً لحاجة الدعاة إلى التعرف عليها والإفادة منها .

إلا أنني أرى إخراجه عن موضوع علم الدعوة ـ مع التسليم بأهمية وضرورة دراسة الدعاة له ـ وذلك لأن سير الدعاة بوجه عام تشمل : سيرته ﷺ وسيرة الأنبياء من قبله عليهم الصلاة والسلام ، كما تشمل سيرة صحابته الكرام وتابعيهم ، والتابعين لهم بإحسان إلى يومنا هذا ...

وقد أصبحت السيرة علماً مستقلاً له مؤلفاته الخاصة به ، كما أصبح علم الرجال والتراجم علماً خاصاً أيضاً له كتبه ومصنفاته ، فيمكن للدعاة أن يأخذوا سير الدعاة من كتب السيرة والتراجم ، كما يأخذون علوم القرآن وعلوم الحديث من مصنفاتهما وكتبهما .

وليس من الضروري إدخال كل شيء يحتاج إليه الدعاة في علم الدعوة ، فالحاجات كثيرة ، والمتطلبات متنوعة ، والترابط بين العلوم

الشرعية أمر قائم ـ كما بينت سابقاً ـ .

وبهذا يصبح موضوع علم الدعوة محصوراً في الموضوعات الستة التي ذكرتها ، والتي سنتناول الحديث عنها في هذا المدخل بعد هذا التمهيد إن شاء الله .

* * *

٣ ـ تحديد مصطلحات علم الدعوة :

إن لكل علم مصطلحاته الخاصة به ، كما أن هناك مصطلحات عامة مشتركة بين العلوم ، وكثيراً ماتتداخل المصطلحات العامة مع المصطلحات الخاصة ، فلا يُدقِّق المستعملون لها في تحديدها ، إلى أن يأتي وقت تستقر فيه تلك المصطلحات ، وتصبح أعرافاً ثابتة ، عامة كانت أو خاصة .

ومن هنا جاء التداخل والغموض في بعض مصطلحات علم الدعوة عند كثير من الكاتبين فيه ، فمنهم من يستعمل مصطلح « مناهج الدعوة » ويريد بها أصولها وأهدافها ، كما فعل الأستاذ : محمد سرور زين العابدين في كتابه « منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله » فقد قال في مقدمة كتابه :

« في اختيار عنوان الكتاب : [منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله] قَصدْتُ الأصول والأهداف الواحدة التي كانت تجمع بين أنبياء الله جميعاً ، وهذا الذي يعنيه كثير من الكتاب في عصرنا ، وكما يقولون : لا مشاحَّةَ في الاصطلاحات ، لاسيما إذا كانت لا تتعارض مع تفسير قوله تعالى ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ﴾ أي أن أصل الدين واحد والشرائع مختلفة »[1] ا . هـ .

ومنهم من يستعمل مصطلح الطرق والأساليب الدعوية بما يشمل الوسائل ، كما فعل الأستاذ الدكتور : أحمد بن محمد العدناني في

---

(١) انظر (١/٣٦) .

كتابه « طرق الدعوة الإسلامية » فعرض فيه الأساليب الدعوية ممزوجة بالوسائل .

ومنهم من استعمل مصطلح (الدعوة) وأراد به (الإسلام) نفسه ، كما فعل الأستاذ محمد أمين حسن في كتابه « خصائص الدعوة الإسلامية » فبعد أن تحدث بإسهاب عن المعنى الأول للدعوة وعرفها بأنها « تبليغ الناس جميعاً دعوة الإسلام ، وهدايتهم إليه قولاً وعملاً في كل زمان ومكان ، بأساليب ووسائل خاصة تتناسب مع المدعوين على مختلف أصنافهم وعصورهم »[1] . وذكر المعنى الثاني للدعوة بأنه « الدين » قال :

« والدعوة بهذا المعنى ـ أي الثاني ـ موضوع هذه الرسالة » فذكر خصائص الرسالة الإسلامية وتحدث عن عدد منها »[2] .

إلى غير ذلك من تداخلات تورث نوعاً من الاضطراب والغموض في مصطلحات العلم ، وكثيراً ما شعرتُ بأهمية تحديد مصطلحات علم الدعوة ودفع هذه التداخلات خلال مناقشة المناهج والخطط الدراسية لقسم الدعوة في المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة ، حيث كانت تدرو مناقشات كثيرة من وراء هذا اللبس والغموض !

لذا رأيت من الضروري تخصيص مبحث في هذا التمهيد لتحديد مصطلحات علم الدعوة ، عسى أن تنال من الدارسين لهذا العلم حقها من المناقشة والتمحيص ، لتأخذ هذه المصطلحات طريقها إلى الاستقرار .

---

(١) انظر ص : ١٧ .

(٢) انظر ص : ٢١ .

ولعل من أهم وأبرز هذه المصطلحات مايلي :

الدعوة ـ الداعي ـ المدعو ـ المِلّة ـ الشريعة ـ المنهج ـ أصول الدعوة ـ مناهج الدعوة ـ أساليب الدعوة ـ وسائل الدعوة ـ

١ ـ مصطلح الدَّعوة :

سبق في تعريفنا للدعوة عند الكلام عن تعريف علم الدعوة ، أن الدعوة تطلق بمعنيين اثنين : أحدهما على الإسلام نفسه ، والآخر عن الدعوة لهذا الإسلام ، وبينا أن المعنى الثاني هو المراد في مصطلح علم الدعوة ، واخترت في تعريفها أنها :

« تبليغ الإسلام للناس ، وتعليمه إياهم ، وتطبيقه في واقع الحياة »

فلا داعي للإطالة في توضيح هذه المصطلح مرة أخرى .

٢ ـ مصطلح الداعي :

وهو القائم بالدعوة ، واسم فاعل من دعا يدعو ، وتأتي الهاء في آخره للمبالغة ، فيقال عمن عُرف بالدعوة « داعية »[1] . هذا في اللغة ،

أما في الاصطلاح : فيمكننا استنتاج المعنى الاصطلاحي له من المعنى المختار للدعوة الذي سبق بيانه ، فنقول : الداعي هو :

« المُبلِّغُ للإسلام ، والمُعلِّمُ له ، والساعي إلى تطبيقه » . فيشمل مصطلح الداعي من قام بأعمال الدعوة كلها ، أو بعمل من أعمالها ، إلا أن الذي يقوم بهذه الأعمال جميعها هو الداعية الكامل .

---

(١) انظر « المعجم الوسيط » مادة (دعا) .

فقد قال الله عز وجل عن رسوله ﷺ :

﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه ، وسراجاً منيراً ﴾ (١) .

وجاء في القرآن الكريم :

﴿ ياقومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به ... ﴾ (٢) .

كما يمكن تعريف الداعي بأنه « المسلم » مطلقاً ، لأن الدعوة وظيفة كل مسلم ، قال تعالى :

﴿ قُلْ هذه سَبيلي أَدْعُو إلى الله على بَصِيرَة ، أنا ومن اتبَّعني ﴾ (٣) .

ولكن التعريف الأول يبقى أولى ، وذلك لوضوحه من جهة ، ولأن المسلم قد يُقصّر في وظيفته فلا يقوم بالدعوة ، ولايكون داعية من جهة أخرى .

وسيأتي معنا تفصيل المسائل المتعلقة بالداعي في البحث عن أركان الدعوة إن شاء الله .

٣ ـ مصطلح المدعوّ :

المدعوّ : اسم مفعول من دعاه يدعوه ، فهو : مَدْعوّ .

أما معناه الاصطلاحي : فهو « من تُوَجَّه إليه الدعوة » ويمكن أن

---

(١) الآيات / ٤٥ ـ ٤٦ / من سورة الأحزاب .

(٢) الآية / ٣١ / من سورة الأحقاف .

(٣) الآية / ١٠٨ / من سورة يوسف عليه السلام .

يعرف أيضاً بأنه : « الإنسان » مطلقاً ، قريباً كان أو بعيداً ، مسلماً أو غير مسلم ، ذكراً أو أنثى ... إلى غير ذلك من أوصاف .

ويدل لهذا قوله تعالى :

﴿ وما أرسلناك إلا كافةً للناس ﴾ [1] .

وقوله : ﴿ قل ياأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ [2].

وما أكثر النداءات القرآنية التي تبدأ بقوله تعالى : ﴿ ياأيها الناس ﴾ !

وسيأتي معنا تفصيل المسائل المتعلقة بالمدعو في بحث أركان الدعوة إن شاء الله .

٤ ـ مصطلح المِلّة :

الملة تطلق في اللغة ويراد بها « الشريعة والدين ، وفي الحديث : لايتوارث أهل مِلّتين ، والمِلَّةُ : الدين ، كملة الإسلام ، والنصرانية ، واليهودية ، وقيل : هي : مُعظم الدين ، وجملةُ ما يجيء به الرسل »[3] .

ويفهم من هذا أن كلمة (ملة) تكون مرادفة لكلمة دين أو شريعة ، كما تكون دالة على معظم الدين والشريعة ، قال تعالى :

﴿ ثُمَّ أَوْحَينا إليك أن اتَّبِعْ مِلَّةَ إبراهيم حنيفاً ، وما كان من المشركين ﴾ [4] .

---

(١) الآية / ٢٨ / من سورة سبأ .

(٢) الآية / ١٥٨ / من سورة الأعراف .

(٣) انظر لسان العرب مادة (مَلل) (٦٣١/١١) . و « النهاية » لابن الأثير (٣٦٠/٤) .

(٤) الآية / ١٢٣ / من سورة النحل .

وقال تعالى :

﴿ ومَنْ يَرْغَبُ عن مِلَّةِ إبراهيم إلا من سَفِهَ نَفْسَه ﴾ [1] .

أما في الاصطلاح : فقد أطلقت الملّة على « أصل الدين ، أو على جانب العقائد فيه » وعلى هذا القول بأن ملة الأنبياء واحدة ، وملة الكفر واحدة ، كما سُمِّيت كتبٌ بكتب « الملل والنحل » .

فإذا أطلقت « الملّة » بمقابل الشريعة والمنهج ، انصرفت إلى « جانب العقائد من الدين » ، وإذا أطلقت وحدها شملت الدين كله .

٥ ـ مصطلح الشريعة :

الشريعة في اللغة ، والشِرْعةُ : « ماسَنَّ » الله من الدين ، وأمر به ، كالصوم والصلاة ، والحج والزكاة ، وسائر أعمال البر ، مشتقٌ من : شاطئ البحر ، عن كُراع [2] ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر ﴾ [3]. وقوله تعالى : ﴿ لكل جعلنا منكم شِرْعةً ومنهاجاً ﴾ [4] . ، قيل في تفسيره :

« الشرعةُ : الدين ، والمنهاجُ : الطريق ، وقيل : الشرعة والمنهاج جميعاً : الطريق ، والطريقُ ههنا : الدين ، ولكن اللفظ إذا اختلف أتى

---

(١) الآية / ١٣٠ / من سورة البقرة .

(٢) هو « كُراعُ النمْل » علي بن الحسن الهنائي الأزدي ، أبو الحسن ، عالم بالعربية ، مصري ، لُقّب بكراع النمل لقصره أو لدمامته ، له كتب ... انظر الأعلام للزركلي (٢٧٢/٤) .

(٣) الآية / ١٨ / من سورة الجاثية .

(٤) الآية / ٤٨ / من سورة المائدة .

به بألفاظ يؤكد بها القصة والأمر » . ذكر هذا صاحب « لسان العرب » وأضاف :

« وقال محمد بن يزيد : شِرْعةٌ ، معناها : ابتداء الطريق ، والمنهاج : الطريق المستقيم ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : شِرْعةٌ ومنهاجاً : سبيلاً وسُنَّة ، وقال قتادة : شرعةً ومنهاجاً : الدين الواحد ، والشريعة مختلفة ، وقال الفراء في قوله تعالى : ﴿ ثم جعلناك على شريعة ﴾ . على دين وملّة ومنهاج ، وكل ذلك يقال ... » [1] .

أما الشريعة في الاصطلاح : فهي : « مجموعة الأحكام الشرعية الصادرة عن الشارع » تُطلق ويُراد بها الأحكام العملية بمقابل الأحكام العقدية ، كما قد تُطلق ويُراد بها جميع الأحكام الشرعية عقديةً كانت أو عملية ، وذلك بحسب السياق .

٦ ـ مصطلح المنهاج :

المنهاج في اللغة [2] : « الطريق الواضح ، واستَنْهَجَ الطريقُ : صار نَهْجاً ، وفي حديث العباس : لم يمت رسول الله ﷺ حتى تركّكم على طريقة ناهجة ، أي : واضحة بينة . والمنهاج كالمنهج ، وفي التنزيل : ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ﴾ [3] .

ومن هذا المعنى اللغوي استحدثت كلمة « منهاج » بمعنى : « الخطة

---

(١) انظر « لسان العرب » مادة (شرع) (١٧٦/٨) .

(٢) انظر « لسان العرب » مادة (نهج)(٣٨٣/٢)، و « القاموس المحيط »(٢١٨/١) .

(٣) الآية / ٤٨ / من سورة المائدة .

المرسومة ، ومنها : منهاج الدراسة ، ومنهاج التعليم ونحوها ، والجمع مناهج »[1] .

ولايخفى التقارب بين كلمتي « منهاج وسنة » في المعنى ، فكلاهما في اللغة بمعنى الطريقة ، وإن زادت كلمة المنهج عليها باشتمالها على الوضوح .

ويمكن تعريف المنهج والمنهاج في الاصطلاح : بأنه « النظام والخطة المرسومة للشيء » .

ومن الطبيعي أن تكون المناهج والشرائع متعددة ، لأنها أحكام وأوامر ونواهي ، وخطط ونظم وطرق من جهة ، ولتعلقها بجانب العباد الذين تختلف أحوالهم وأوضاعهم زماناً ومكاناً من جهة أخرى ، خلافاً للملة ، فإنها لاتتعدد ، وذلك لتعلقها بجانب الله عز وجل الواحد الأحد .

٧ ـ مصطلح أصول الدعوة :

أَصْلُ الشيء في اللغة : أساسه الذي يقوم عليه ، ومنشؤه الذي ينبتُ منه ، وأصول العلوم : قواعدها التي تبنى عليها الأحكام[2] .

ومن هذه المعاني اللغوية لكلمة أصول ، يمكننا أن نعرف أصول الدعوة في الاصطلاح بما يشمل :

أ ـ أدلة الدعوة ومصادرها التي تستند إليها ،

ب ـ وأركانها التي تقوم عليها ، ولاتوجد إلا بها .

---

(١) انظر « المعجم الوسيط » مادة (نهج) (٩٦٦/٢) .

(٢) انظر « المعجم الوسيط » مادة (أصل)(٢٠/١) .

فيصبح تعريف أصول الدعوة : « أدلتها ومصادرها ، وأركانها » وسيأتي تفصيل كل هذه الأمور في محله من الكتاب إن شاء الله تعالى .

٨ ـ مصطلح مناهج الدعوة :

المناهج : مفردها : منهجٌ ومنهاج ، وقد سبق معنا في المصطلح السادس بيان معنى المنهاج لغة ، وبينا أنه استحدثت كلمة منهاج بمعنى : (الخطة المرسومة) ، ومنها : منهاج الدراسة ، ومنهاج التعليم ...

ومن هذه التعريفات اللغوية الأصيلة والمستحدثة لكلمة منهاج ، يمكننا أن نعرف مناهج الدعوة في الاصطلاح بأنها :

« نُظُمُ الدعوة ، وخططها المرسومة لها » فيقال :

نظام العقيدة في الإسلام ، ونظام العبادة ، ونظام الاقتصاد ، ونظام السياسة ... وما إلى ذلك ...

كما يقال : نظام تبليغ الإسلام ، ونظام تعليمه ، ونظام تطبيقه ...

وسنتناول أنواع المناهج الدعوية ، والمسائل المتعلقة بها في محلها من هذا الكتاب إن شاء الله .

٩ ـ مصطلح أساليب الدعوة :

الأساليب : جمع أسلوب ، وهو في اللغة : الطريق ، ويقال : سلكت أسلوب فلان في كذا : طريقته ومذهبه ، وأسلوبُ الكاتب :

طريقته في كتابته [1] ، ويقال : أخذ فلان في أساليبَ في القول : أي أفانينَ منه [2] .

ومن هذا التعريف اللغوي لكلمة أسلوب ، يمكننا أن نعرف « أسلوب الدعوة » في الاصطلاح ، بأنه : « طريقة الداعي في دعوته » أو « كيفية تطبيق مناهج الدعوة »

فأساليب الدعوة : « الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته » أو « كيفيات تطبيق مناهج الدعوة » .

ولاشتراك كلٍ من المنهج والأسلوب في المعنى اللغوي وهو« الطريق » ، يبرز الترابط الوثيق بين المناهج والأساليب من جهة ، كما تبرز الدقة في التفريق بينهما من جهة أخرى .

فالمناهج الدعوية : هي النظم والخطط الدعوية ، والأساليب الدعوية ، هي : كيفيات وطرق تطبيق تلك النظم والخطط الدعوية ، ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة زيادة في التوضيح :

إذا كانت العبادة في الإسلام منهجاً ونظاماً ، فإن من أساليبها : الصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج وما إلى ذلك من أشكال تطبيق العبادة ...

وإذا كان الاقتصاد في الإسلام منهجاً ونظاماً ، فإن من أساليبه : جميع أشكال التعامل المالي في الإسلام ، من البيع والصرف ، والإجارة والرهن والشركة وما إلى ذلك من أشكال التطبيق ...

---

(١) انظر « المعجم الوسيط » في مادة (سلب)(٤٤٣/١) .

(٢) انظر « لسان العرب » (٤٧٣/١) و « القاموس المحيط »(٨٦/١) .

وإذا كان السَمْعُ والطاعة في الإسلام منهجاً ونظاماً ، فإن من أساليب تطبيقه : القيادات الفردية أو الجماعية ، واختيار الإمام ، وتأمير الأمير في السفر وغيره ...

وإذا كانت الشورى في الإسلام منهجاً ونظاماً ، فإن من أساليب تطبيقها الاستشاراتُ الفردية والجماعية ، والشورى الملزمة ، والشورى المُعْلِمَةُ ، وما إلى ذلك من تطبيقات ...

وقد جاءت الآية القرآنية مشيرة إلى أنواع أساسية من الأساليب الدعوية ، وآمرة بالأخذ بها ، مثل قوله تعالى :

﴿ أُدْعُ إلى سبيل ربِّكَ بالحِكْمة والمَوْعظة الحسنة ، وجادِلْهم بالتي هي أحسن ﴾ (١) .

وقوله سبحانه :

﴿ فَبِما رَحْمَةٍ من الله لِنْتَ لهم ، ولو كنتَ فَظاً غليظَ القلبِ لانفَضُّوا من حَوْلك ، فَاعْفُ عنهم ، واستغفِرْ لهم ، وشاوِرْهم في الأمر ، فإذا عَزَمْتَ فتوكَّلْ على الله ، إن الله يحب المتوكلين ﴾ (٢) .

١٠ ـ مصطلح وسائل الدعوة :

الوسائل في اللغة : مفردها وسيلة ، والوسيلة : الوُصلة ، والاتصال ،

---

(١) الآية / ١٢٥ / من سورة النحل .

(٢) الآية / ١٥٩ / من سورة آل عمران .

وهي في الأصل : ما يُتوصل به إلى الشيء ويتقرَّبُ به ، يُقال : وَسَلَ إليه وسيلةً وتَوسَّلَ [1] ...

ومن هذا المعنى اللغوي لكلمة « وسائل » يمكننا تعريف وسائل الدعوة في الاصطلاح بأنها : « مايتوصل به إلى الدعوة » .

ولما كان مايتوصل به إلى الدعوة عاماً شاملاً لجميع مايحتاج إليه الدعاة من أصول الدعوة ومناهجها وأساليبها ووسائلها ، وكان لكلٍ من الأصول والمناهج والأساليب معنى اصطلاحي خاص ، قَصَرْنا المعنى الاصطلاحي للوسائل الدعوية على مايستخدمه الداعية للوصول إلى غايته ، سواء أكان اتصافاً بصفاتٍ معنوية ، أم كان استعمالاً لأدواتٍ مادية ، أم قياماً بأعمال تطبيقية ...

فأصبح تعريف وسائل الدعوة هو :

« مايتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية أو مادية » .

وسيأتي تفصيل هذه الأمور في بحث الوسائل من هذا الكتاب إن شاء الله .

* * *

(١) انظر « المعجم الوسيط » مادة (وسل) و (وصل) ، وانظر « النهاية في غريب الحديث » (١٥٨/٥) و « لسان العرب » (٧٢٤/١١ / ٧٢٥) و « القاموس المحيط » (٦٥/٤) .